

لا تدم على ما فالك

بعض الناس يقلقون على الفرص التي ضاعت منهم لو أنهم كانوا قد تصرفوا بأسلوب معين أو لو استطاعوا أن يفعلوا كذا . . . لما فاتتهم هذه الفرصة التي سنحت لهم بل ولتغير مجري حياتهم إلى ما هو أفضل كثيراً . .

فلو أننا فكرنا في هذا السلوك لعرفنا أن هذا التفكير بعيد كل البعد عن الحقيقة والواقع . . فمثلاً لو افترضنا أن ما فعله إنسان ما في موقف معين وضعه في موقف أفضل وأعظم مما هو فيه الآن فلماذا نفترض هذا الفرض دون أن نتوقع المصاعب والمتاعب التي يمكن أن تحيق به أكثر مما هو عليه الآن من متاعب ؟

وإنني أعتقد أن أي فرد لن يحصل على أكثر من نصيبه في هذه الدنيا وأن الطرق قد تختلف في هذه الحياة ولكنها جميعاً مملوءة بالصعاب ويمكن أن أقول إنها وإن اختلفت في المظهر من طريق إلى آخر إلا أنها تكون واحدة في الجوهر إنها جميعاً مشكلات ومتاعب ثم إنه يجب أن يعلم الإنسان جيد العلم أنه لو ظل يفكر في الفرصة التي ضاعت منه في الماضي ويحزن عليها وتتجمع هموم الدنيا فوق رأسه فإن ذلك سوف ينسه قطعاً الفرص المتعددة التي تمتد أمامه اليوم فلا يجب عليه أن ينسى أنه في أي طريق يسلكه فهذا لا يعني أبداً أنه تغير أو أنه سوف يكون أسعد حالاً . . .

إن الظروف فقط هي التي تتغير أما هو فيجب أن يتفاعل مع هذه الظروف المحيطة به وعليه بذل كل جهده لكي يعايش هذه الظروف ويتكيف معها ولا شك أن سعادته يمكن أن تتحقق عن طريق عاملين فقط :

- العامل الأول هو نفس الشخص .

- العامل الثاني هو الظروف المحيطة به .

وفي رأي علماء النفس أن العامل الأول هو الأكثر أهمية في تحديد السعادة إن الحياة توفر لنا الكثير من الطرق والعديد من الحلول لمشاكلنا ولكن الإنسان هو الذي يختار الطريق الذي يسلكه .

ولا شك أن هناك أفراد قادرين على التمتع بما حولهم ويعوضون دائماً ما فاتهم بعزم وقوة كما أن هناك أناس يكون على اللب المسال ولا هم لهم إلا الشكوى حتى إذا لم توجد مشاكل فلا مانع من أن يقوموا هم أنفسهم بخلق المشاكل .

إن القلق على الماضي لا يفيد فلا يجب أن يندم الإنسان على ما فاته لأنه ليس مقدراً له فمثلاً الطالب الذي يحصل على الثانوية العامة ويقف على مفترق الطرق يحتار بين أن يدرس في كلية الحقوق أو التجارة ثم ما يلبث أن يقع اختياره على كلية التجارة .

وتمر الأيام ويتخرج في كلية التجارة ويتم تعيينه في إحدى الشركات ويتقاضى مرتباً ضعيفاً مرتب الحكومة هذا الشاب إذا نظر إلى أحد زملائه الذين اختاروا كلية الحقوق وتخرجوا فيها .

وأصبح محامياً يشار إليه بالبنان ويتقاضى في القضية الواحدة ما يوازي مرتب عام بالنسبة لصديقة ويبدأ هذا الصديق في البكاء على حظه وضياع فرصة إلحاقه بكلية الحقوق ولهذا الإنسان أحب أن أسر في أذنه قائلاً أن

البكاء على الماضي وضياع فرصة الإلتحاق بكلية الحقوق بكاء لا يجدي ولا يجب أن تندم عليه لأنك لا تعرف إذا كنت قد إلتحقت بهذه الكلية أو تلك ماذا ستكون النتيجة .

ويجب أن يفكر الإنسان تفكيراً سليماً قبل اتخاذ القرار وإذا جابهنا الظروف التي تقابلنا بروح واقعية بعيدة عن الخيال وفي حدود إمكانياتنا الحالية وطاقتنا فمما لاشك فيه أننا سنكون أسعد حالاً فلماذا نقلق في فرصة ضاعت وهناك العديد من الفرص التي تسنح لنا ولا نستغلها .

هناك ذكريات للإنسان عن الفشل الذي صادفه في الماضي أو المواقف السيئة أو المخجلة التي قابلته أو الأشياء التي فعلها والتي لا زال نادماً عليها ولا يمكن تصحيحها الآن وربما أيضاً يفكر أحد الأفراد في المشاكل التي سببها للغير أو المظالم التي ارتكبها مع غيره من الناس الذين يتعامل معهم نتيجة لأنانيته أو بدافع من غروره .

وأنا لا يمكنني أن أطلب من أحد أن ينسى هذه المشكلات ويلقي بها في سلة المهملات فهي تطفو على السطح من وقت لآخر وتحمل بين طياتها الآم الماضي وسفاهة التصرف بل على العكس فإنني أطلب منك أن تفكر فيما ارتكبته من أخطاء في الماضي مع الغير تبعث القلق بصفة مستمرة إلى نفسك حتى يستريح ضميرك ولكن إذا أخذ مثل هذا الإنسان من الماضي عبرة ودرساً فإن هذا أفضل من أن تنفض هذه الذكريات المؤلمة التي تطفو على تفكيرك من وقت لآخر سواء تم هذا شعورياً أو لا شعورياً ويجب أن يتأكد أن الماضي لم يعد ملكه وحده ولن يستفيد شيئاً إذا نظر إلى المستقبل نظرة قائمة متشائمة قياساً إلى الماضي .

مثل هذا الإنسان الذي بدأ يعذبه ضميره أقول له أغفر لنفسك هفواتك ولا تنسى مطلقاً أنك بشر والبشر يخطئ وهذه حكمة الله عز وجل فالله نفسه يغفر الذنوب فثق في رحمة الله وتب إلى الله وثق أن الله سوف يقبل توبتك لأنها نابعة من قلب وليس من لسان ولك مطلق الخيار في هذا ودعني أوضح لك ما أعنيه من قصة صغيرة أطرحتها تدور هذه القصة حول ناسكين كانا قد اتخذنا كهناً في أحد الجبال .

وجعلنا كل منهما عبادة الله وفي أحد الأيام خطر لهما أن يتوجها إلى المدينة لقضاء بعض حاجاتهما ولكن المدينة كانت بالنسبة لهما منطقة إغراء بمباهجها ومفاسدها وارتكبا أخطاء وفكرا في العودة مرة أخرى إلى الكهف وهما في أشد حالات الحجل من الله ولكن ما أن وصلا إلى منتصف الطريق حتى توقفا .

وقال أولهما إنني قد أخطأت وانغمست في الرذيلة ومن ينغمس فيها مرة فإنه لن يستطيع أن يعيش عيشة الكهوف والعبادة وبلغ منه اليأس مبلغه فعاد أدراجه إلى المدينة أما الثاني فإنه توجه إلى مغارته ونظر في السماء مناجياً ربه قائلاً :

« ربي إنني أخطأت وأنا بشر ضعيف وساعدني على التخلص من نقطة ضعفي هذه واقبل توبتي والآن أوجه إليك أيها القارئ العزيز السؤال التالي : من كان منهما على حق ومن منهما الذي استطاع أن يزيل من نفسه القلق الذي زايله عن الماضي الأثيم ؟

